

## الفصل الحادي عشر

### محفزات تطور الأنماط عند الأطفال

هناك فرق شاسع وملحوظ بين الأشخاص السعداء النشيطين والأشخاص الذين ليسوا كذلك. وجزء كبير من هذا الفرق يُنسب إلى نوعية حكمهم. فإذا كان الحكم الجيد هو القدرة على اختيار الخيار الأفضل والتصرف بناءً عليه، عندئذ يجب أن يكون حكم الأشخاص السعداء النشيطين بمجمله جيداً وعلى نحو معقول، ويكون حكم الأشخاص الغير فعّالين والغير نشيطين سيئاً إلى حد ما.

ولذلك، تتحقق العملية "الحكمية" بشكل جيد من خلال جهود على مدى الحياة لمعرفة الصح والقيام به في كل ظرف يمر به المرء. وبناء عليه، فإنه - سواء طوّر الأطفال العملية "الحكمية" لديهم أو لا - فسيعتمد على ما يقومون به حيال المشاكل والقضايا والظروف غير المرضية.

أما بالنسبة للأطفال الذين يُعفون أنفسهم من كل المسؤوليات ولا يقومون بمجهود يُذكر، فسيتوقف لديهم تطور النمط، في حين أن الأطفال الذين يتغلبون على العقبات، على عكس الأطفال الذين سيكون النمط لديهم في تقدم مستمر وسيصبحون قادرين بشكل متزايد على مواجهة وحل المشاكل، وستقودهم هذه الخبرة والمهارة إلى ما يكفي من النضج والإدراك.

أما الأطفال الذين يرفضون التحدي لتغيير الحالات غير المرضية، فسيجدوا أنفسهم في ظروف أسوأ وأسوأ لأن الحياة ستزداد تعقيداً بالنسبة إليهم وذلك

لتزايد المتطلبات والمسؤوليات، أما قدرتهم على معالجة القضايا فلا. وعلى خلاف النمو المتمحور حول النضج، والذي يتطلب جهداً موجّهاً إلى ما وراء الدوافع اللحظية، فمن السهل الانزلاق في الهبوط المتمحور نحو الأسفل، لأن ذلك يتطلب ما يحلو للمرء فقط.

إن الأشخاص غير المتطوّرين يفضلون أن يفعلوا ما يحلو لهم بدلاً من القيام بتلك الجهود، في حين أن كل الأطفال يعتبرون غير متطوّرين بشكل كافٍ ليشروعوا في مثل هذا التطور.

وللبداء بذلك النمو المتمحور حول النضج، فلا بد من تحفيزهم للقيام بالجهود، والذي يحتاجه الأطفال هو القناعة بأن الرضا يمكن، بل لا بد من اكتسابه.

فالآباء الذين يقدرّون هذه القناعة يمكن أن يعطوها لأولادهم، ولكن يجب عليهم البدء بذلك مبكراً ولا يغيب عن أذهانهم كلمتي "يمكن" و "لا بد".

إن الأطفال المدللين لا يتعلمون كلمة "يجب"، فهم يحصلون على ما يريدون، بغض النظر عما يستحقون. فإذا ما استسلم الأبوان لنوبات غضب الطفل، فإن الطفل سيحصل على ما يريد مما لا يستحق، ولذلك لا يتكون لديهم تجارب أولية للسبب والنتيجة والموجودة في عالم البالغين، وليس لديهم أي ممارسة في الحكم على أدائهم بما يستحق كما يحكم عليه العالم من حولهم، حتى أنه لم يتم إنذارهم بأن العالم سيحكم على أدائهم.

وبالتالي فإن الأطفال المدللين قد تكيّفوا على إلقاء اللوم في كل إشكالاتهم على السبب الخارجي.

فإذا كانوا غير محبوبين أو غير موثوقين، أو إذا نالوا درجات متدنية، فإنه لا يخطر ببالهم أن يسعوا ليكونوا محبوبين أو موثوقين أو مجدين في دراستهم.

وكل خطأ يحدث معهم لا يعتبرونه خطأهم ، ولا يرون أي سبب للقيام بمجهود لتطوير أنفسهم، لذلك فلا يقومون به وبالتالي لا يتطورون.

ومن جهة أخرى هناك الأطفال المحرومين الغير محبوبين والمكبوتين، فمن الممكن ألا يعلموا أنه يمكن كسب الرضا.

وإذا لم يكن من شيء يفعلوه صحيحاً أو ناجحاً أو مستحسناً، فمن الممكن أن يلجئوا إلى القيام بالقليل من الأعمال قدر الإمكان.

من ناحية أخرى ، ولأن كل من الأطفال المدللين والأطفال المكبوتين يفتقدون للمحفزات الضرورية للتطوير، فإن إدراكهم سيبقى "احتمالياً" وسيكون "حكمهم" على الأخص طفولي.

وهكذا ، فبعد عدة سنوات، سينضج الأطفال بدنياً ولكن بدون نضج نفسي. ولم يكن قد تبين إلا رفض الطفل لمحاولة تلبية متطلبات البيت البسيطة نسبياً، وقد تشكل المدرسة عجزاً مدمراً كلياً لتلبية متطلبات ومسؤوليات حياة البلوغ. أما الطفولة السعيدة، فإن الأمر الأساسي فيها يتمحور حول علاقة التفاهم السهلة والعادلة بين أداء الطفل وما يحدث لهم.

وعندما يتبع الشباب قواعد بسيطة ( مع المزيد من التسامح والرحمة عند بعض المواقف العارضة، وسوء التفاهم، وبعض النسيان) فمن المفترض أن تكون النتيجة هي القبول والثقة والسلوك الاحتمالي من قبل البالغين.

و من المكاسب التي يحصل عليها الطفل أنه يجب أن يكون قد حصل على أنسب معيار للحرية لصنع قراراته الخاصة. وعندما يعتمد الأطفال الخطأ، فيجب أن يتم رفض النتائج بشكل مستمر.

وفي ظل هذه الظروف، سيتعلمون إطاعة الكلمة المحكية والقواعد المعروفة

بنفس الروح التي يطيعون فيها قانون التجاذب، وبالخضوع إلى عقوبة خفيفة لا بد منها، وفي نفس العمر خمسة عشر شهراً أو أصغر.

وبإدراك الأطفال حقيقة أن إيجاد وفعل العمل الصحيح أكثر منفعةً وكسباً من عمل الخطأ، فسيكون لهم محفزاً للتمييز بين الخطأ والصواب في أدائهم وفعلهم الصواب، حتى ولو أن الصواب أقل مسرّةً وجاذبيةً أو أقل متعةً في اللحظة الحالية. وهذه بداية "الحكمة".

حالما يبدأ الطفل في السمو المتمحور حول التطور والنمو، تتراكم الآثار.

وعندما يتحسن تصرفهم يصبح الأطفال مقبولين بشكل متزايد من قبل الآخرين، وخصوصاً عائلاتهم، ويُتاح لهم المزيد من المزايا والفرص للتطور. وكلما فعلوه عموماً فسيزدهر. وعندما لا يحدث هذا الازدهار فسيتحققون ما إذا كانوا قد قاموا بخطأ ما، لأن التجارب علمتهم أن فعل الصواب سيجلب لهم النجاح. فإذا لم يجدوا شيئاً بعد تدقيق نزيه، يتوقف لديهم القلق لأنهم تعلموا من التجارب أن كل ما عليهم فعله هو بوسعهم.

ويمكن للشباب الصغار أن يحققوا جانباً من الرضا كلما بكروا في التخلص من السلطة الأبوية. فإذا ما استمر الأطفال بتحمل المسؤولية، فلن يعود لدى الآباء من المخاوف في إعطاء المزيد من السلطة لأبنائهم. الذين أصبحوا بذلك مهيين للنمو ولنضج.

في حين أن الأطفال الصغار الذين هم في طريق الهبوط اللولبي نحو الأسفل، لم يتحملوا المسؤوليات، وتوقع تقدمهم في السن يشكل مخاوف عفوية على الأبوين. كما أن الكثير من الاضطرابات العصبية التي تصيب البالغين تعزى إلى الدلال في سن الطفولة، وليست عبارة عن صدمة في سن الطفولة. إن الشعور بالذنب

وعدم الكفاءة هو النتيجة المنطقية لفشل التطور. لذلك فإن عدم التطور عند الأشخاص المتأخرين الذين كان بإمكانهم أو كان يجب عليهم أن يتقدموا في تطورهم، لا يمكن تبريره على أنه بسبب حادثة من الزمن الماضي ولم تكن بسبب عيب في الشخص ذاته.

وهنا ، لا بد لأشخاص كهؤلاء من ترك عملية تطورهم أن تجري بقوتها الذاتية. فالشعور بالذنب يمكن أن يشكل الجزء النافع من آلية القوة تلك وذلك عندما يولد ذلك الشعور لديهم القناعة بأن عليهم أن يحسبوا من أدائهم وأن يقوموا بشيء أفضل.

إن هذه القوة تجبرهم على بذل المجهود لمعرفة ما يجب عليهم فعله ، وتساعدهم في محنتهم حتى النهاية. ولسوء الحظ فإن المقاومة الداخلية ضد بذل ذلك المجهود تعد نسبةً مع حجم الجهود المطلوبة. والأنماط جيدة التطور تجد أنه من السهل عليها الانتباه لإشارة الإنذار الناتجة عن الذنب أو حديث القلب، لتغيير سلوكهم لأن منظورهم "الاحتمالي والحكمي" مُدرّب على مثل ذلك.

إن الأشخاص الذين يعانون عجزاً في النمط، وخصوصاً في العملية "الحكمية" لديهم مقاومة كبيرة ليس فقط ضد القيام بالمجهود المذكور بل حتى ضد الاعتراف بأنه لا بد من القيام به وتتضمن خطوط دفاعهم الشائعة لتبرير ذلك في قولهم العبارات التالية:

1- "لا فائدة من المحاولة، لأنني لا أستطبه": قيام بالمطلوب".

الأمر الذي يجري في سلسلة تبدأ من مجرد الشعور بالنقص إلى أن ينتهي بأعراض العجز البدني، مثل الشلل والعمى الهستيرى الحقيقي.

2- "إن الشيء المطلوب غير جدير بالقيام به" : وفي هذه الحالة ربما يصل

الأمر بالشخص على أن يوسم الثقافة أنها مجرد هراء، وينتقد الأخلاق على أنها تكلف ومجرد تمثيل وأي معتقد وعامل بها على أنه مغفل.

3- "لقد قمت بالمطلوب، ولكنني خُدت بما أستحقه": وهنا ربما يزعم الشخص المدافع أن المعلم متحيّز ضده، والأطفال متآمرين عليه، والمدرّب لا يعطي فرصاً لأحد، والمشرف يعطي فرصاً فقط لمن يفضله من الناس، أو أن النظام بأكمله ظالم له. ويمكن للعبارات الدفاعية تلك أن تعيق التعامل الفعّال مع المشكلة لأنهم يمنعون أنفسهم بها من القيام بالخطوة الأولى التي لا بد منها، مقرّين بأنه من المحتمل أن يكون شخص ما قد اقترف خطأً.

فإذا ما اعتادوا على هذه العبارات فسيكونون قد أحجموا عن المحاولة وانجرفوا في ذلك الهبوط اللولبي نحو الأسفل.

وعلى أية حال، فإنه من الممكن إقناع الأطفال منذ البداية بأنه يمكن بل لا بد من كسب الرضا. ولا بد من كل من المنزل والمدرسة من أن يوفر لهم فرصة تجربة القيام بأشياء محددة بشكل حسن وكسب الرضا الذي يلتمسونه. وبسبب أن مختلف الأنماط لديها مواهب واحتياجات مختلفة، فلا بد من اختلاف الأعمال التي تجلب لهم ذلك الرضا.

إن المدارس التي تلغي برنامج التقارير عن الطلبة لتجنّب جرح شعور الكسالى منهم إنما تسير في المسار الخاطئ. فلتعزيز التطور، يجب على المدارس ألا تتجاهل تفوق الطلبة بل يجب أن تنوّع من اهتماماتها الخاصة من خلال منح مكافآت على التميّز غير الأكاديمي أيضاً، بإيثار أولئك الذين لا يعتمدون على "الحدس".

وهذا الاستنتاج التي توصلت إليه إحدى الأمهات لولد في سن السادسة وتصرفت بناءً عليه بلمسة من النبوغ.

فقد رأت حقيقةً أنه إذا كان لا بد لولدها من أن يكون له تفوقه المميز فلا بد له من نقطة انطلاق لهذا التطور. ومن ثم تابرت على ذلك مع أن ولدها لم يكن لديه ذاك الاهتمام بالإصرار، لكنه كان مولعاً بحلوى "الخطمي" فكانت مكافأته ثلاث قطع منها لنهاية يومٍ جيد جداً في مدرسته، وكمكافأة لإنجازات خاصة كانت الجائزة أربع قطع من تلك الحلوى.

طبعاً وفي بداية الأمر، كان على الأم أن تقوم مقامه في العملية "الحكمية" لكن المحفز كان كافياً في توجيه اهتمامه على الفرق بين نهاية اليوم الجيدة والنهاية السيئة.

وفي نهاية الأمر سيطرت عنده العملية "الحكمية" التي أصبحت جزءاً من كل شيء وأكسبته شهرةً مميزةً من حيث اعتماديتهم.

وهكذا يتم مراعاة تطور النمط من خلال التفوق والتميز في كل ما يستطيع الطفل تقريباً أن يقوم به بشكل حسن.

وكما قال "يونغ" ذات مرة، أنه إذا زرع الأطفال قطعة ملفوف واحدة فسيكونون قد أنقذوا العالم في هذا الميدان. ولا حاجة لأن يكون الامتياز تنافسياً، إلا أثناء محاولة الأطفال لتحسين أدائهم الماضي، ولا حاجة لأن تكون الفضيلة هي جزاؤه على ذلك.

وهكذا، فإن الرضا المكتسب بالسعي يمكن أن يكون كل شيء يزود بأقوى الدوافع للأطفال، مثل المزيد من المسرات والممتلكات للطفل "الحسي" والمزيد من الحريات والفرص الخاصة للطفل "الحدسي" منصب أو سلطة جديدة

للطفل "الفكري" والمزيد من المدح والصدقات للنمط "الشعوري".  
ومن ناحية أخرى، فكلما اكتسب الطفل الرضا، يكون قد تقدم في السمو  
المتمحور نحو التطور، والجهد المطلوب هو القيام بشيء حسن يتم فيه ممارسة  
العملية "الاحتمالية" و"الحكمية" الأمر الذي يجعل من الطفل مُهيأً للمزيد من  
المسائل الجديدة، وكلما زاد الرضا الذي يكتسبونه يقوى إيمانهم بأن بذل  
الجهود جدير بذلك. فكلما نما الطفل في عالم البلوغ الذي لا تساهل فيه حيث  
لا بد من كسب كل رضا حقيقي، فإنه يتهيأ لكسب رضاه الخاص.